

## السيد حسين رضا

ولد شقيقاً فقيداً لإصلاح والفضيلة السيد حسين لبضع ليالٍ خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٩ ( الموافق شهر يناير سنة ١٨٨٢ ) وقد اغتبط والده بولادته ما لم يغتبط بولادة غيره من ولده ، وكان يقول انه ولد ليلة المولد النبوي وأنا أرى انه ولد قبلها بليلة فان ليلة المولد هي ليلة تسع على التحقيق . وكان يحبه حباً شديداً حتى كان يظهر حبه له في حضرته خلافاً لعادته مع أولاده ، ويلجج المرة بعد المرة بقوله « هذا الحسين بن علي » فكان هذا كان منه إشارة الى الفجيرة به في الحرم

تعلم مبادي القراءة والكتابة في القلمون ولاحت عليه من نشأته الأولى غايل الذكاء والنجابة والعقل ، واعتصم منذ طفولته بحبوة الحياء والأدب ، وانفي لأتذكر ان أحداً أهانه بقول أو فعل ، وكنت أنا الذي حملت الوالد رحمه الله تعالى علي وضعه في مدرسة الحكومة الابتدائية في طراباس ( وكنت يومئذ اخطاب العلوم الدينية والعربية في تلك المدينة ) وكان يرضن به على المدن خوفاً على اخلاقه ، ويحب ان يطلب العلم في غير المدارس الرسمية ، وكنت انما هدته بكل ما يحتاج اليه ، فتلقى فيها شيئاً من مبادي التركية والفرنسية والحساب والصرف والنحو بالتركية ، وعلم الحال (القائد والبيادات) ولكن حالة المدرسة الادبية لم تكن تلائم فطرته فتركها باختياره ولم يتم مدتها . ثم أقرأه النحو والصرف والتوحيد والأخلاق وشيئاً من الفقه ورغبته في الأدب . فقرأت له مع آخرين كتاب الاظهار وطائفة من كتاب ابن عقيل في النحو ( وحفظ الالفية كلها أو بعضها ) ، وكتاب المنصوفي في الصرف ، وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي ، وحضر علي بعض دروس الاحياء والقائد وفقه الشافعية

ثم هاجرت الى مصر وأنا ضنين به أن يبق في وطنه ، وقد اشتد الضغط فيه علي العلم وأهله وكتبه ، فسكنت أطلبه من الوالد ( رحمهما الله تعالى ) فيرجي ونسوف في إرساله ، حتى سمح به في أوائل سنة ١٣٢١ فوضعه في الأزهر فكان يحضر دروس التفسير والبلاغة على الأستاذ الامام ودرس فقه الحنفية على الشيخ احمد أبي خناره ودروساً أخرى كان ينتقل فيها من حلقة ينتقدها ، الى حلقة يرجو أن يجد طلبته

فيها ، ويفرأ النار ويحاول اتباع أسلوبه في الكتابة ، ولم يلبث أن ترك الأزهر بعد وفاة الشيخين محمد عبده وأبي خطوه ، وما أراه أتم حضور كتاب علي أحد فيه لأنه لم يستطع الصبر على أسلوبهم - فهذا يحمل القول في دراسته . وكل من عرفه من أهل العلم كان يرى أن معارفه أكبر من سنه . هكذا قال الأستاذ الشيخ عبدالكريم سلمان والدكتور شميل والدكتور يعقوب صروف وغيرهم

كان رحمه الله تعالى كاتباً أدبياً وشاعراً وسطاً وخطيباً منوهاً ، وكان يعرض على في بدء الأمر بعض ما يكتبه وما ينظمه فلا أجد فيه إلا القليل من الخطأ الذي يقع في مثل أشهر الكتاب والاساتذة ، وما عم أن استقل بنفسه ، وصار ينشر المقالات الأدبية والسياسية والاجتماعية في الجرائد والمجلات الكبرى ، فتارة يصيه باسمه الصريح ، وتارة بلقب مستعار ، وقد كنت أنكر عليه أولاً استجباله بالاستقلال التام وأنا أعلم أن سببه الذي ساعد استمداده الفطري عليه هو الاقدياء بشقيته وأستاذه الأول ، وأرى أنه فاق هذا الاستقلال قبل أو أنه ما كنت أحبه له من التوسع في العلوم الشرعية استمداداً لتحرير النار ، وأن يكون ذلك برغبته واختياره ، فلم استطع أن أحدث له هذه الرغبة ، وحثته على اتقان اللغة الفرنسية فاشتغل بها زمناً ولكنه لم يتقنها كما يجب ولم يعانقها البتة ، لأنه كان يجري على سجيته ولا يطبق التكاف . وما كنت يأساً من عودته إلى اتقان ما كنت أحب أن يتقنه وأنا أعلم أن رغبته إذا تحركت فإنها تكون كالسكهرباء مضاه وسرعة ، وجملة القول في علمه أنه علم الأديب ، من كل فن حفظ ونصيب ، وكان دقيق النقد ، حاضر الحجة ، قوي المناكرة ، شديد على الخصم مع النزاهة والأدب . وله آثار وحكم وخواطر حسنة مدونة في مذكراته ، سنشر بعضها في القاراء فيما ذكره ، وشرحا لمكتونات صدره .  
بخبايا فكره

أما أخلاقه وسجاياه فهي التي كانت أكبر مواضع الرجاء فيه ، وأظهرها وأعلاها استقلال الفكر وقوة الإرادة والاباء وعلو الهمة وعزة النفس والصدق والأمانة والشفقة والتجدة والمروءة والشجاعة والاقدام والروية والوفاء والاخلاص ، وكنت أختبئ أن يغلب عليه إلى الشجاعة والرجولية ميله إلى العلم والأدب . أرايت إذا اشرب صاحب هذه الاخلاق حب المصاحبة العامة ، ووجه وجهه إلى خدمة الأمة ، مع حسن البيان بالقلم واللسان ، ألا يرجي أن يكون من المصلحين المجددين ؟ بلى وإن فقيدنا الشاب قد كان مرجواً لهذا وأهلاً له ، لو قدر الله له عمراً طويلاً

انني وان كنت أشهد لآخي وتلميذي فشهادتي حق ، وما تعودت بفضل الله الا قول الصدق ، ولا فائدة لي ولا له في اطرائه واعطائه ما ليس له بحق ، ويشهد له بذلك جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيحة حق قدرها أو جهلهم وجموعهم ، كما تشهد له به آثاره التي هي مرآة نفسه ، لانه لم يكن يكتب الا ما عليه عليه اعتقاده وشعوره ، وانني أقل ههنا بعض ما كتبه الى فضلاء المؤمنين وإنما اختار من التمازي الكثر التي كتبت الي ما فيه تزييح او إثارة الى رأي الكاتب لها في فضل التقيد وأخلاقه والرجاء في خدمته لأتمه . والتمازي ضروب بعضها وعظ طام ، وبعضها تراه على المعزى ، واكثرها إكبار للمصيبة بالكلام المجمل والوصف الشعري

( ١ )

كان أجدد الناس بأن يحفظ كلامه وينشر في هذا المقام صديقتنا الاكبر الاستاذ العالم الصوفي الشيخ محمد كامل الرافعي أفضل الفضلاء في طرابلس الشام ، ولسكن ما كتبه في هذا المصاحب شجون فيها ذكر ما وقع ووصف حاله هوفيا وما يستقده في صديقه كاتب هذه السطور ، فلا يتعلق شيء كثير منها بمرضا ، وبسبح ان يكون منه بعض عباراته في اكباره المصاحب على ما هو عليه من وقار المشيب ، وما اعتاده من مصارعة الخطوب ، كقوله حفظه الله تعالى

« فلم يفجأني الا خبر نعيه الذي اصم السمع ، وصدع القلب ، وكان له من التأثير على وجودي كله ما تميت معه أي لم اخلق ، واسرعت الى القلمون أسفا جازما ، فرأيت القيامة قائمة ، وشهدت من هول المصاحب ما يذيب القلوب ويفطر المرائر ، ويذهب بالنفوس حسرات ، واجتهدت بحسب ضمني اذ ذالك لتخفيف الهول على غير جدوي . وبالْحَقِيقَةُ ان مصابنا بالحسين عظيم ، والخطب فيه جسيم ، وإنما يقوي عليه بقوة من الله . »

ومن كتاب له الى ابن اخته جميل اقتدي الرافعي :

« ما فجت بمد آخي احمد عارف رحمه الله (١) بمثل انفجاعتنا لوفاة السيد حسين رضا ، ولا أمضني خطب كخطبه ، ولا أسفت لأحد كما أسفت لفقده ، ولو شئت لعددت مواهبه بلسان التدب ولكن قلبي من الحزن لا يطيق . ولقد صعب علي تعزية

(١) هو أكبر أخوته وأنعمهم وقد مات له غيره

(السيد) (١) به حتى لا أكاد احتقل ما كتبت . ولو اني حملت جبال وضوى لكان  
أهون علي ممن حملت من الكتابة اليه ، علي انه لا بد منه ، والامر لله ، وانا لله  
وانا اليه راجعون »

(٢)

ما كتبه الي لسان الصدق والحكمة السيد عبد الحميد قدي الزهراوي من الاستانة :  
كتابي اليوم كتاب أسي وحزن ، ولولا أن الجزع قبيح بعباد الله المؤمنين لكان  
قالي اليوم جديراً أن يتسع للجزع وحده ويضيق عما سواه ولا أجد غضاضة علي في  
ذلك لولا الايمان ، لان فقيدنا ليس من هذه الاعراض الفانية المتبدلة ، كلابل هو جوهر  
من أكرم الجواهر التي حظينا من الزمان باكتساب محبتها ، والتعزي في هذه الحياة  
برؤية صفاتها ، هو من أعظم الهدايا الالهية التي آتستنا في المعاصم الموحشة ، مطامع  
قيل وقال ، وكثرة الجدل ، هو من أفضل الاعيان التي تصبغ زينة التاريخ بزوق  
محامدها ، هو « السيد حسين رضا » وياليف قالي حين يرى هذا الاسم محفوراً في  
صفوف التاريخ ، بعد أن عرفناه جمال محافل المعاصرين

اذا كان فقد الفضلاء ليس يدع في عالم الكون والتحول فالجزع لنفدهم ليس  
يدع أيضاً ، واذا كان ذوي النصوص النضرة أمراً مهوداً فذرف الدموع لاجلهم  
أمر مهود كذلك ، لسكتنا نجل سنة الله تعالى في أنفسنا ، وتكلف قديم الانس  
بروحه علي الانس بأشباحنا ، فنزحزح بذلك عن الجزع القلي مستغفريه سبحانه  
عن الدموع التي لانك سدا لثيارها ، ولا حول ولا قوة الا به ، هو ولي النطرة  
ومازج الضف بالقوة

اذا أسي الآل الرضوي علي الحسين فلا غرو ، كيف والآسون عليه من مواهم  
يعدون الممد ، ويماصون تلي الحد ، فمحافل الآداب ، ومعاهد العلوم ، وبيوت الحسب ،  
وما أهل الشيبة ، ومناهل الفضائل ، كل ذلك بعض من أسي علي هذا النصن العظيم  
الذي آجيته دوختهم ، وأرحشت منه اليوم وياضهم ، وإن يتمس الآل الرضوي عزاء  
فليس لييرهم مثل ما يجدونه من العزاء بوجود مولاي الاخ الذي هو اليوم عزاء  
علم الاصلاح كله

كتبت هذا وما أملي بأن أكون معزيا في الحسين أكثر من أن أكون معزي  
فيه ، وذلك أن أخي الرشيد أغنى بقوة معرفته بالله سبحانه وأنسه بروح هديه ونجلياته

عن توبة اخوانه ، أما أنا فلا أستني ولا أجدني سائلاً ذاك الشاب الذي لا فضل لي  
في عيني لطفه ، فان كل من عرفوه محكوم عليهم بالتقيد والتعلق بمنابيه ، فانه سبحانه  
صقول ان يميننا في هذا المصاب ، وبكفي الآل الرضوي سائر الاوصاب ، وانا لله وانا  
اليه راجعون

اخوكم  
عبد الحميد الزهراوي

وكتب في جريدته الحضارة التي تصدر في الآستانة

( السيد حسين وصفي رضا )

شاب نشأ في مهد المجد ، ووضعت أفاقه العالي ، وتضلع من الآداب والحكم ،  
وبلغ في المروءة والشهامة الغاية ، أانا فيه فوقع لدينا وقصاً مؤلماً ، وكان أسفنا عليه  
عظماً ، فقد كان فوق كل ما تقدم من صفاته صديقاً من أعزّ اصداقاتنا ، وأنا من  
أكرم إخواننا ، فعزى فيه الفضائل والمالي وأخانا العلامة المصلح شقيقه السيد محمد  
رشيد رضا صاحب «المآثر» أجزل الله أجره ، وأطال عمره ، انا لله وانا اليه راجعون ، منه  
سبحانه نستزل الرضوان على جدت التقيد المزي ، والصبر والسلوان على أقدمة أهله وعارفيه

( ٣ )

ما كتبه أكتب علماء طرابلس الشام وأعلم كتبها الشيخ اسماعيل الحافظ  
المدرس في دار الفنون العثمانية ومكتب النواب بالآستانة

صيدي الأخ الرشيد عزى الله نفسه بما يرويه من صلاح الاسلام واتزال السكينة  
على قلبه . أكتب هذه الكلمات يد ترتجف أسفاً ، واقاس تقطع لهما ، وبين قلبي  
قلب يكاد يقطر دما ، وينفطر تائراً وألماً ، وعلى طارضي دمع ينهل مدراراً ، ويتساقق  
انحداراً ، ثم لا يلبث أن ينقلب ناراً ، تذكي في أوارا ، دمع كأي احس بسويداه قلبي  
تسيل في وليه ، وسواد عيني يمزج بأبيه ، حتى لو استعملته مداها ، لرقم على هذا  
الطرس سواداً ، وذلك شأني منذ قرأت في جرائد طرابلس نهي ذلك الشاب النض  
والحسب الحض ، والادب الموفى على الروض جمالا ، والخلق المزي بفضعات الزهر  
اربعياً ، والذكاء الذي يكشف اعقاب الخطوب ، ويكاد يشق حجب القلوب ، ويستجلي  
خواطر القلوب ، فياله من خطب رزمت به التضيئة بجمالها ، والمكارم بكمالها ،  
والمروءة ببهجتها ، والنجدة ببهجتها ، ويا حشرة الاقلام والخبار ، والسكتب والدفاتر ،  
ويذا أطول أسفي على ذلك التقيد ، وما أشد أسفناقي على قلب ( السيد ) كلف يحنل

المصاب به والصبر على نضرة شبابه ، وهو أكثر أشقائه جرياً معه في سبيل الإصلاح ،  
وأقدرهم على مساعدته وتأنيده ، واسكن علمي بمبلغ صبر السيد واحتماله ، وثقتي بممكنه  
في موقف الجهاد النفسي ، واستقامته بصروف الأيام وزهده في متاع هذه الدنيا الفانية ،  
قد يهون بعض آلامي ، ويهينه من غلواء جزعي واشفائي ، وهو ما هيأ لي سيلاً إلى  
التقدم إليه بهذه التعزية الخريفة ،

وأما أنت أيها الأخ الصالح ( ١ ) فاني أعلم رقة شعورك ، وشدة تهتكك بالفتيد ،  
وضحكك عن احتمال المصيبة به ، ولذلك كفتت عن تقديم تعزية خاصة بك ، جزئاً  
من ذكر هذه المناجحة ، واشفاقاً وكآبة وحزناً ، عزى الله قلبكما بفضله والهمكما بالصبر  
الجليل ، وجزأ كما الأجر الجزيل ، على اني لست اغني عنكما عن التعزية بهذا المصاب .  
وهنا الله جميعاً جميل الغزاء والسلوان ، وعوض الفتيد على شبابه بالروح والريحان ،  
وأعلى غرف الجنان ، وهو على فراقه المستعان

الداعي

اسماعيل الحافظ

( ٤ )

وكتب الاستاذ الاكبر، بقية السلف الصالح ، الشيخ عبدالرزاق اليطار الدمشقي

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله القائل « وبشر الصابرين الذين اذا اصابهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه  
راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المنتدون » والصلاة  
والسلام على فتيد الأوائل والأواخر ، وعلى آله وحجبه الى اليوم الآخر  
اما بدنيا ايها الأخ العزيز الذي نحن شركاؤه في حزنه وبكائه ، ونظر اؤده في كدره  
واسفه وبلائه ، ان المصائب تتفاوت في المقدار ، والحوادث تختلف باختلاف الاقدار ،  
وعلى قدر المشقة يكون الثواب ، ويضاعف الأجر بحسب المصاب ، وانت وان كنت  
اعلم منا بثواب الصبر ، وما اعد الله للصابرين من الثواب والأجر ، ولكن لا بأس  
بالمذاكرة والتذكير ، والقيام بأوامر السنة بلا فرق بين جليل وحقير ، فيامولاي الجليل ،  
هل - للخلاق من خلاص ونجاة ، مما حكم به الحاكم المطلق وقضاه ، وآتي وايم الله  
حينما علمت بهذا الخطب دارت بي الارض دهشة وحيرة ، واظلمت الدنيا في عيني  
اسفا وحسرة ، وكتبت معزياً والقلم هائم ، والدمع هائم والكرب داهم ، فيالها من

مصيبة ما اعظمها، وداهية ما افظها واجسمها، وعلى كل حال ليس لنا سوى التسليم  
لولي الأمر، ولزوم الصبر، على ما هو امر من الصبر، وقد قال من له الأمر والشان،  
« كل من عليها فان » فإله يبق لنا وجودكم جميعاً وينيلكم كل مراد ومرام، ويحتم لنا  
ولكم بجميل الانعام وحسن الختام حرر في ١٩ محرم سنة ١٣٣٠ عبد الرزاق  
البيطار

( ٥ )

وكتب العالم الكبير، وب التصنيف والتحرير، الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي :  
حضرة مولانا اوحده الاعلام أطال الله في بقائه وبارك لنا في حياته، وافانا اليوم  
نبأ اذرف الدموع، واطار المهجوع، وخطب اورث الشجن، واطال الحزن، وانزل بنا  
اعظم مصاب، واراننا ما لم يكن بحساب

ادهشني والله ما لجمني، حتى حرت كيف أعزي وانا حقيق بان أعزي، ام  
كيف انلوما للصابر وانا الجدير بما يتلى، ولقد ابى القدر الحتم الا ان يمثل في الحرم  
فاجمة الحسين، وان يجعل لنا - وان لم تشيخ - من الشجو ضعفين، فانا لله وانا اليه  
راجعون، نسأله تعالى ان يفرغ علينا الصبر، ويوفى لنا بهظيم مصابنا الاجر، ويهب  
للسيد الاكبر من العمر أطوله، ومن العيش اكمله، والسلام

الاسيف

جمال الدين

في ١٥ محرم سنة ١٣٣٠

القاسمي

( ٦ )

وكتب صاحب الفضيلة، والمزايا الجليلة، الشيخ مصطفى افندي نجار مفتي بيروت :  
سلام الله على حضرة الاستاذ الجليل أعظم الله أجره وأحسن عزاه بمنه تعالى  
وكرمه. وبهد فان نبأ الفاجمة الاليمية والمصاب العظيم، بصديقنا الاخ الكريم، قد جرح  
الفؤاد وأورثنا الالصف الشديد، وساء كل من عرف فضل هذا الفقيه الاديب، والكتاب  
التجيب، عامل الله من اعتدى عليه بما يستحقه. وعلى كل فاللوت على العباد أمر محتم،  
والتسليم لله تعالى أولى وأسلم، والاستاذ حفظه الله جدير بأن يتدرع لهذا الخطب الكبير  
بصبر أكبر منه، فانا لله تسليماً لامره تعالى، ولا حول ولا قوة الا بالله. اللهم انض على  
هذا الشهيد سجال رحمتك، واسكنه بفضلك في عالي جنتك، وسهل لامرته الكريمة

الفقير مفتي بيروت

سبيل الصبر، ونهصيل الاجر، انك سميع الدعاء

( الحتم )

(٧)

وكتب صفوة أدباء بيروت أصحاب التوقيعات كتاباً مشتركاً قالوا فيه :  
الاستاذ العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا أطال الله بقاءه  
السلام على الاستاذ ورحمه الله وبركاته . وبعد قانا نكتب واليد مر بحفنة والقلب  
يخفق والعين تدمع للرزء الجليل الذي أصيب به الادب والفضل والخلق الكرم  
والفيرة الصادقة . فكان هذا المصاب عاماً لكل من عرف الفقيه رحمه الله ولم  
تخصص بذلك امرته الكريمة . فتقدم بتمزية الامة عموماً ولفضياتكم خصوصاً .  
الهمنا الله جميعاً الصبر واعظم لنا ولكم الاجر  
محمد علي القصاص عبد الرحمن سلام مصطفى القلايني

(٨)

وكتب صاحباً الامضاء من سروات بيروت وكبار وجهائها  
الى السيد الحكيم ادام الله بقاءه  
مصائبنا بالحسين عظيم ، ووقفه في قلوبنا أليم ، وما لهذا الخطب العميق ، الاجيل  
الصبر مما يمد من فضائل السيد الحكيم ، الصادع بأمر ربه ، الراضي بحكمه وفضائله ،  
فتمكم واليكم سنة التعزية ، عظم الله أجركم ورحم الفقيد العزيز وعوضنا بقاء السيد  
خيراً والسلام ١٦ محرم سنة ١٣٣٠ الداعي  
يوسف سنو حسن بيهم

(٩)

وكتب الكاتب الخطيب الشير الشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاتحاد  
العثماني في بيروت

﴿ إنا لله وإنا اليه راجعون ﴾

مولانا العلامة الاستاذ الرشيد  
تناولت القلم لا كتب للاستاذ تمزية بالشهيد الحسين ، فترأى لي حول المصائب  
وتمثل أمامي فضل الفقيه ، وأدبه النض ، وخلقه الكريم ، فلم أدر ماذا أقول سوى  
أني أدعو الى بالله تعالى بأن يفرغ على قلب الاستاذ الصبر الجليل ، والاجر الجزيل  
مأن يعتمد فقيدنا بوابل رحمة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام  
١٩ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ احمد حسن طباره

( ١٠ )

وكتب الأديب الفاضل، سليل بيت العلم والفضائل، في بيروت (وهو الآن بمصر)

حضرة السيد الفاضل النبيل حفظه الله

اعرض ان المصاب باخ الطرفين شقيق حضرتكم لقد اصاب وایم الله  
كبدي الفضل والتبل واضاع الوطن بقده شهما غيورا وعاملا بل املا كبيرا نشأ  
في هجري العلم والحكمة وشب متشجبا بالافكار السامية والمبادئ الراقية الخ الخ

المخلص

محمد مصباح الحوت

( ١١ )

وجاءنا من جمعية الاخاء الاسلامي بيروت هذا الكتاب ، فشرناه بعد  
حذف رسوم الخطاب ، فان لم يكن على شرطنا في موضوعه فلجمعية معنى يتصل  
به من وجه آخر ، وليكن ختام ما نشره من تمازي بيروت التي هي في مجموعها ،  
اعرف البلاد السورية بقيمة رجالها :

نبدي انت نأ الفاجعة الأليمة بوقاة الشقيق قد ملأ القلوب اسفا وهزنا ،  
واسال من العيون مزنا ، قضي رحمه الله رحمة الأبرار ، واسكنه دار الكرامة مع  
الاخيار ، مضى في سبيل لا بد لكل حي من السير فيه والمصير اليه بحكم مقدر  
الاعمار لأجلها ، والآجال ليمادها ، فلا ينفع الفاتت الحزن ، ولا يرفع الهم غير  
الاعتصام بالصبر ، وكل ذلك لا يخفى على فضيلتكم ، ومعالي ارشادكم احسن الله  
لكم العزاء ولقاكم من الصبر اكله ، ومنحكم من الاجراجزله ، ولا اراكم بعده  
ما تكروهون ، وانا لله وانا اليه راجعين

عن عموم اعضاء

٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ جمعية الاخاء الاسلامي في بيروت

رئيسها : محمود فرشوخ

( منذ كرفي الجزء الآتي نموذجاً من تمازي سائر البلاد والاقطار )

## ﴿ الدولة العلية واليمين ﴾

نشر كاتب انكليزي شهد حصار صنعاء في العام الماضي وعاد في هذه الايام إلى انكلترة مقالة في التيمس وصف فيها ذلك الحصار وحالة البلاد في هذا الاوان . ترجمت جريدة المقطم خلاصتها ، فرأينا أن ننشرها لتكون تسمية لما نشرناه من قبل في مسألة اليمين قال الكاتب

« عقدت الحكومة العثمانية صلحا غير مجيد مع الامام يحيى بعد مارشت زعماء الثورة بالاموال الطائلة ووعدهم بالاصلاح فقال الامام بذلك اكثر مما كان يطمع فيه ، وثبت في مركزه ها كما على قبائل الزيدية . ولم تغير الحال في ما سوى ذلك عما كانت عليه قبل بدء القتال . فالأتراك يملكون صنعاء وقد استرجعوا معظم المراكز التي كانوا يحتلونها في الماضي ، والامام يملك شهبارة وسمائل الماقل التي كانت له . وقد اطلق الامام اخيرا سراخ خمس مئة اسير من الجنود ولكنه لم يبد المدافع التي غنمها في هذه الثورة او في ثوراته السابقة . واضطرت الحكومة ان ترسل خمسين الف عسكري بقيادة عزت باشا وهو من اكبر قوادها للحصول على النتائج التي مر ذكرها

ولا يستطيع الواقف على حقيقة احوال اليمين ان يقابل الانباء التي وردت من الاسنانة عن استعداد الامام لتقديم مئة الف مقاتل ليحاربوا الايطاليين في طرابلس الغرب الا بالابتسام . ذلك لان سلطة الامام اسمية اكثر مما هي فعلية ولان الحكومة العثمانية تمجز عن قتل هؤلاء المتطوعين الى ساحة الحرب . فالامام اذا في حل من ذلك ولا تعريب عليه اذا لم يبر بوعده

قد اتيح لي ان اكون في صنعاء لما كان الامام محاصرا لها وظل الحصار من شهر يناير الى اواخر شهر ابريل من العام الماضي . وكان عدد الحاصرين يتراوح بين عشرة آلاف وخمسين الف مقاتل . ولو هجم الثوار على المدينة بقتة ليسر لهم فتحها عنوة لان هاجمتها . وكانت مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة وبعض الفرسان ونحو ٣٠ مدفعا . لم يكن في استطاعتها الدفاع عن السور الذي يبلغ محيطه اثني عشر كيلو مترا . ويقال ان الامام كان عازما على اتيان ذلك وأعد السلام

اللازمة لتساق الاسوار ولكن المقربين اليه ثنوه عن عزمه

وقد اتفق الفريقان مقدارا عظيما من الذخائر سدى ، ولم يحتدم وطيس القتال الا لما عزت باشا بجيشه من صنعاء فكانت الحامية تخرج من المدينة حينئذ وتهاجم الثوار فتشيب بينهما معارك شديدة ينحسر فيها الفريقان خسارة جسيمة وكان الثوار مسلحين ببنادق موزر من عيار ۷۴ وعتي عن البيان ان هذه البنادق شديدة الفتك ، ولقد كانت الذخائر متوفرة عندهم والا ما استطاعوا ان يطلقوا على الاسوار نارا حامية اكثر من ثلاثة اشهر ، وبما يستغرب في هذا الامر ان البنادق والذخائر في شبه جزيرة العرب أرخص منها في اوروبا ، ولم يستعمل الثوار المدافع الحديدية التي غنموها من الاتراك كثيرا لانه ليس بينهم من يحسن الرماية بها (؟) ولان معظم الذين تصيبهم قنابلها داخل المدينة هم من اخوانهم واتباعهم وحدث انه لما عصفت ريح الثورة خرج بعض الجنود المحليين من العرب من المدينة وانضموا الى الثوار فشدد ولاة الامور على من تخلف من هؤلاء الجنود في المدينة واعتقلوهم هم وسائر الذين اشبهوا فيهم من الاهالي الى ان انتهى الحصار ، ولم يشددوا الا في هذا الامر وتجاوزوا عن سيئة الذين سموا في نفس الثكنات ، وبأول تسامحهم هذا يخوفهم من قيام العرب عليهم اذا سقطت صنعاء وانتقامهم منهم وحرصهم على حياة الجنود الكثيرين الذين اسرهم العرب

وزحف عزت باشا بجيشه من الحديدية على داخلية البلاد من غير ان يلاقي المقاومة التي كان يتوقعها ، نعم انه قاتل كثيرا في طريقه ولكن الثوار لم يدافعوا عن معقل من معاقلهم المدينة بين المدينة وصنعاء مدافعة تستحق الذكر ، وقد دلت النتائج على أن تقاعدهم عن مقاومة الجيش كانت حكمة من الامام وليس جبناً منه ومن رجاله ، ولما بلغ الجيش صنعاء رأى انه لا يستطيع ان يخطو الى ما وراءها ، ولم تكن خسارته في الحرب عظيمة ولكن الاوثة فتكت به فتكاً فديماً ، وزد على ذلك انه لقي في طريقه مشاق وصعاباً وافقح الا كثيرا في الانتقال من مكان الى مكان ، وشاع بعد رفع الحصار ان الجيش كان تاويا التقدم الى شحارة ولكن عرب السواحل استأنفوا القتال الذي انتهى بواقعة جيزان المشهورة

فقال ذلك دون اخراج هذا العزم واضطر ولاية الامور أن يسرعوا بمفاوضة مشايخ  
عرب الجبال ليشتروا خضوعهم وولاءهم بالمال

ويستدل من هذه النتائج السلبية ان الحكومة العثمانية لا تستطيع اخضاع  
اليمن اخضاعا تاما وأن الاسباب التي تمنع الادريسي من الاتحاد مع الامام .  
وهي اخلاقيات دينية - تمنعه ايضا من الاتفاق مع الحكومة ، هذا وان من  
تكرر الثورات في تلك البلاد ضرب من الحال الا اذا نزع السلاح من الاهالي  
ولكن الحكومة بدلا من أن تفعل ذلك مكنت العرب من غنم عدد عظيم من  
البادق و بعض المدافع من جيشها وهم يرفضون الآن ما تعرضه عليهم من الاقتراحات  
رد هذه الاسلحة اورد بعضها رفضا باتا

وعلاوة على ما تقدم فان التنظير على البلاد الجبلية في اليمن محض باعطاء  
ومصاعب جمة اذا كانت الحال ملائمة لذلك لان البلاد وعرة المسالك متخلة  
الجبال والمضارب من جميع الانحاء فتجعل المواصلات امرا صعبا جدا ان لم تهر  
محالا وفيها كثير من المعامل الطبيعية ويسكنها قوم اشداء عرفوا بالبسالة والاقتداء  
لانهم شبوا على الحرب وشن الغارات ولانهم مستكلمو العدة والسلاح ، نعم ان  
التمرس والتدريب على القتال يعوزانهم ولكنهم متحدو الكلمة تراهم قلبا واحدا  
ويذا واحدة في الذود عن كل ما يوجب اذلالهم واخضاعهم اه

( المنار ) يعتقد الكاتب أن الدولة لا تستطيع اخضاع اليمنيين بالقوة ثم هو  
ينصح لها بأن تأخذ منهم أسلحتهم فكأنه ينصح لها بأن تستمر على اتفاق الملايين  
مما تعرضه من أوربة بالرأيا الفاحش وعلى بذل دماء الالوف من المسلمين كل عام  
لاجل أن يهلك الفريقان ويكونا غنمة باردة للطامعين فيهم جميعا . ولو كان  
مخلصا في نصحه لاستنبط من علمه واختباره انه يجب على الدولة وهي لا يمكنها  
اذلالهم واخضاعهم أن ترضى بأن يتولوا أمور أنفسهم بمساعدتها تحت سلطتها وأن  
تؤلف منهم قوة يحمون بها بلادهم من الاجانب اذا اعتدوا عليها ويكونون عونا  
للدولة عند الحاجة اليهم . فحسبها انها حاربهم أربعة قرون وخسرت في ذلك  
الملايين من الرجال وبنير المال ، ولم تستفد في مقابلته شيئا قط